من وثائق ومخطوطات عسير

في دار الوثائق القومية ودار الكتب بالقاهرة

للوثائق أهمية خاصة في دراسة التاريخ ، فهي بمثابة الآثار التي خلفتها أفكار السلف وأفعالهم ، كما أنها تحمل روح العصر الذي كتبت فيه ، وتلقي ضوءاً عليه وتُصور أحداثه . والكتابات التاريخية الجادة تصنعها دائماً الوثائق ، كما أن أصالة العمل التاريخي تُقَيَّمُ على قدر ماتوفر له من وثائق . فالوثيقة بالنسبة للمؤرخ بمثابة المادة الخام التي تحمل شهادة رجال الماضي . والفهم الصحيح للأحداث التاريخية لا يتسنَّى إلا بالرجوع إليها .

ووثائق ومخطوطات عسير التي نعرضُ لها في هذا البحث تحفظ في (دار الوثائق القومية بقلعة صلاح الدين بالقاهرة ، وفي (دار الكتب المصرية) على شاطئ النيل بالقاهرة أيضاً .

وفيما يلي نعرض لأهم هذه الوثائق والمخطوطات :

أولًا : الوثائق : يمكن تصنيف الوثائق التي سنعرض لها إلى مجموعتين .

١ ــ وثائق عن ثورات أهالي عسير ضد حكم محمد علي[١] .

٢ ــ وثائق عن فترة حكم محمد بن عائض في عسير ، ورغبة الدولة العثمانية في التخلص منه .

وبالنسبة للمجموعة الأولى من الوثائق فهي عبارة عن رسائل متبادلة بين محمد علي وبعض كبار قواده حول وضع قواته في عسير[٢]، وبينه وبين أحمد باشا يكن محافظ مكة بشأن مفاوضاته مع مشايخ عسير ، وحقيقة الأوضاع هناك[٣] وبينه وبين وكيله لدى الباب العالي بشأن موقف الدولة العثمانية من استيلائه على عسير[٤] .

كما تشمل هذه الرسائل مراسلات من أمراء عسير خصوصاً علي بن مجثّل وسعيد بن مسلط إلى أمراء مكة وإلى غيرهم[٥] .

وتوضح لنا هذه الوثائق الثورات العنيفة التي قام بها العسيريون ضد حكم محمد علي الذي تعرض لمقاومة عنيفة في هذه المنطقة ، كما تكشف عن ثورات بعض جند محمد علي ضدّه بسبب تأخر رواتبهم ، والتي كان أهمها ثورة تركي بيلمز Turki Bilmaz التي اشتد سعيرها وتخطى نطاقها منطقة الحجاز إلى الحديدة والمخا(٦) .

وتحفظ هذه الوثائق في دار الوثائق القومية ضمن مجموعة المحافظ والدفاتر المعروفة باسم (محافظ بحربرا) ، و(محافظ عابدين) و(دفاتر المعية تركي) .

أما عن لغة هذه الوثائق فيمكن تقسيمها إلى قسمين :

أ ـ وثائق كتبتْ باللغة العربية ، وبأسلوب يتَّسم مع روح العصر الذي كتبتْ فيه ، والذي يتَّضح من خلاله تداخل العديد من الكلمات الأعجمية في اللغة العربية .

ب ـ وثائق كتبت باللغة التركية القديمة(٧) وكان الملك أحمد فؤاد ملك مصر قد أمر بترجمتها إلى العربية في محاولة منه لإبراز دور جَدِّهِ محمد علي ، فترجمت بواسطة بعض المتخصصين في اللغة التركية ترجمة صحيحة وواضحة .

أما عن المجموعة الثانية من الوثائق فهي عبارة عن عشر رسائل وصورة خط (هما يوني)(٨) وعن الرسائل فمنها ماهو بين الأمير محمد بن عائض أمير عسير وبين الخديو إسماعيل حاكم مصر(٩)، ومنها ماهو بين الأمير فيصل بن تركي أمير نجد وبين الخديو إسماعيل(١٠)، ومنها ماهو بين السلطان العثماني عبدالعزيز وبين الخديو إسماعيل(١١) ومنها ماهو بين الخديو إسماعيل وبعض قواده ومعاونيه المكلفين بتسوية أزمة عسير(١٢) ومنها أيضاً ماهو بين الأمير محمد بن عائض والسلطان العثماني(١٣) أما عن صورة الخط (الهمايوني) فهو عبارة عن الأمر السلطاني الخاص بتسوية المشكلة العسيرية سلمياً . وهذه المراسلات محفوظة ضمن (وثائق وسجلات عابدين) في دار الوثائق بالقاهرة وموضوع هذه الوثائق أنه بعد قيام الأمير محمد بن عائض بالاحتكاك بالعثمانيين خارج حدود إمارته ، وتهديده لمناطق

نفوذهم في الحجاز لجأ السلطان العثماني إلى خديوي مصر للاستعانة به في إيقاف تهديدات أمير عسير للمصالح العثمانية ، وعندما أَحَسَّ محمد بن عائض بذالك أخذ في تبادل رسائل المودة مع الخديو إسماعيل[١٤] . ولما كان هذا الخديوي لا يرغب في توريط نفسه في مشاكل في جنوب غرب الجزيرة العربية ، وفي نفس الوقت لا يرغب في إغضاب السلطان العثماني فقد استجاب لأوامر السلطان بإعداد قوة حربية تحت قيادة الأمير آلاي إسماعيل صادق[١٥] للانضمام إلى القوات العثمانية المعسكرة في ميناء جدة ، لتنتقل معها إلى جهة القنفذة لمواجهة أمير عسير[١٦] وفي نفس الوقت أخذ الخديوي في بذل مساعيه للوصول إلى تسوية سلمية بين السلطان وأمير عسير[١٧] وقد نجح الخديو في إقناع الباب العالي بتلك السياسة حتى لا تسفك دماء المسلمين وتحدث الفرقة بينهم[١٨] .

ونتيجة لاستعداد أمير عسير للتفاهم ، أبلغ الخديوي الدولة العثمانية بذالك ، وبدأت علاقات الصفاء بين الطرفين خصوصاً بعد أن أصدر السلطان (فرمانا) بالعفو عن أمير عسير ، وأرسل الخديو هدية للأمير محمد بن عائض وهي عبارة عن بندقية مذهبة وخيمة كبيرة ، وزوج من (الطبنجات) مع خطاب ودّي تمنى فيه الخير له[١٩] . ولكن الأمر لم يستمر على ذالك فسرعان ما انقلب ابن عائض ضد الدولة العثمانية ، وأخذ في شق عصا الطاعة عليها ، وتحرك بقواته ضدها ، وانتهى الأمر في النهاية بتحرك القوات العثمانية والاستيلاء على عسير ، وتحويلها إلى (متصرفية عثمانية) في عام ١٢٨٩هـ .

ثانياً : المخطوطات : أما عن أبرز محفوظات دار الكتب المصرية عن عسير المخطوط رقم (٧٠١ تاريخ) والمعنون «هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين» والذي كتبه السيد محمد بن علي الادريسي[٢٠] إلى صديق له في مصر بتاريخ ٦ من ربيع الثاني ١٣٣٠هـ وَذُيِّلَ بخطاب من ضابط عثماني أرسله من منطقة القنفذة لضابط آخر أكبر منه يشرح له فيه إحدى الوقائق الحربية التي حدثتْ بينهم وبين الإدريسي .

والمخطوط مكون من ٢٣ صفحة تقع رسالة الإدريسي منها في ١٨ صفحة .

ويتضح من رسالة الإدريسي كراهيته الشديدة للعثمانيين والتي يرجعها إلى أنهم (يستبيحون الحرم وينتهكون الأعراض ، ويتجاهرون بالمعاصي . والخروج على الحدود التي حددها الله ورسوله غير مبالين ، ولا متأدبين فلا الصلاة يؤدون ، ولا الشهر يصومون ، ولا هم في حكمهم يعدلون)[٢١] كما يتهم الإدريسي العثمانيين بالرشوة ، واحتقارهم للعرب وللغة العربية فيقول : (وناهيك بالرشوة وعكوفهم عليها مع عبثهم في أموال الرعية واحتقارهم للأمة العربية وللغة العربية ، وإهمال جميع المصالح العامة ، وإهانة رجال الدين إلى غير ذالك مما لا يصدر إلا عن القوم الظالمين الغادرين)[٢٢].

وعند تحليلنا لما كتبه الإدريسي عن العثمانيين ينبغي أن نأخذ كلامه بحذر خصوصاً وأن موقف العداء بينه وبين العثمانيين ظل مستحكماً ، وأنه واصل الحرب ضدهم طوال فترة حكمه لمنطقة المخلاف السليماني[٢٣] ومع ذالك فلا يمكن لأحد أن ينكر أن ما كتبه يعتبر بالغ الأهمية لدارسي هذه الفترة فصاحبه شارك في الأحداث وصاغها بسلاحه وقلمه الذي يمثل وجهة نظر لا غنى للمؤرخ عن الاستفادة منها .

د. عبدالمنعم إبراهيم الجميعي
أستاذ التاريخ الحديث
كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - أبها

الحواشي :

(١) الجدير بالذكر أن الأستاذ الدكتور عبدالحميد البطريق له دراسة قيمة تحت عنوان «وثائق الحكم المصري في الجزيرة العربية ١٨١٩ - ١٨٤١» وقد تعرض فيها لهذه الوثائق بالدراسة ، كما تعرض لها أيضاً الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن في كتابه «من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي» .

(٢) من أمثلة ذالك رسالته بتاريخ ٦ صفر ١٢٢١هـ - انظر دفاتر المعية تركي - دفتر رقم (٢٠) بدار الوثائق القومية بالقلعة .

(٣) من أمثلة ذالك رسالته بتاريخ ١٢ رجب ١٢٣٨هـ . أنظر دفاتر المعية تركي ـ دفتر (١٤) بدار الوثائق القومية بالقلعة .

(٤) من أمثلة ذلك رسالته بتاريخ ١٨ محرم ١٢٤١هـ . أنظر دفاتر المعية تركي ، دفتر (٢٢) .

(٥) من أمثلة ذالك رسالة سعيد بن مسلط إلى الشريف محمد بن عون شريف مكة . أنظر محافظ بحربرا ـ محفظة رقم (٦) بدار الوثائق القومية بالقلعة .

(٦) لتفاصيل ذلك يمكن الرجوع إلى (محافظ عابدين، المحفظة ٢٣٧ صورة الوثيقة التركية رقم ١٤٣ بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٢٤٨هـ رسالة من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

(٧) كانت تكتب بحروف عربية ، وقد قام كمال أتاتورك بإلغائها واستبدالها بحروف لاتينية .

(٨) همايون : كلمة فارسية معناها الحرفي مبارك ، ويستخدم أيضاً بمعنى ملكي أو سلطاني أو امبراطوري . انظر : د. عبدالعزيز الشناوي : «الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» جـ١ ص ٣٧٣ .

(٩) محفوظة بدار الوثائق القومية ـ سجلات عابدين ـ سجل ٢٤ صادر صورة المكاتبة العربية رقم ٣٤٣ بتاريخ ٣ ذي القعدة ١٢٨٣هـ .

(١٠) يمكن الرجوع لدار الوثائق القومية ـ دفتر رقم ١٩٠٧ ، أوامر عربي ص ٨١ مسلسل ٤١ بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٢٨٠هـ .

(١١) دار الوثائق القومية ـ دفتر ٢٢ صادر عابدين ص ٢٥ مسلسل ٩ بتاريخ ١٤ ربيع الثاني ١٢٨٢هـ .

(١٢) يمكن الرجوع إلى سجلات عابدين ، سجل رقم ٢٤ الوثيقة ٤٠٢ بتاريخ ٩ محرم ١٢٨٤هـ .

(١٣) رسالة تاريخها ١٨ محرم ١٢٨٦هـ من الأمير محمد بن عايض إلى السلطان العثماني عبدالعزيز يشكو فيها من ظلم الولاة العثمانيين واستبدادهم .

(١٤) من أمثلة هذه الرسائل رسالة من الأمير محمد بن عائض إلى الخديوي بتاريخ ١٠ شعبان ١٢٧٨هـ .

(١٥) إسماعيل سرهتك : «حقائق الأخبار عن دور البحار» جـ٢ ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية ١٣١٤هـ ص ٢٩٤ .

(١٦) دار الوثائق القومية بالقاهرة : دفاتر الأوامر ، دفتر رقم ١٩٠٨ أوامر عربي ص ٨١ رقم ٤١ في ٢٥ ذي الحجة ١٢٨٠هـ .

(١٧) «المجلة التاريخية المصرية»: المجلد السابع ١٩٥٨ مقال للدكتور محمد السروجي تحت عنوان (موقف مصر إزاء بعض مشاكل شبه الجزيرة العربية) ص ٧٢ ـ ٧٤ .

(١٨) رسالة بتاريخ ١٤ ربيع الثاني ١٢٨٢هـ .

(١٩) دار الوثائق القومية ـ (سجلات عابدين) سجل رقم ٢٤ صادر صورة المكاتبة العربية رقم ٣٤٣ بتاريخ ٣ ذي القعدة ١٢٨٣هـ .

(٢٠) ولد في صبيا عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م ، وتعلم في الأزهر بالقاهرة ، واستطاع بناء بيت حاكم محرر من سيطرة الأتراك في منطقة المخلاف السليماني . لتفاصيل ذالك انظر د. عبدالمنعم الجميعي : «الأدارسة في المخلاف السليماني وعسير» ١٣٢٦ ـ ١٣٤٩هـ القاهرة ١٩٨٧م ص ٩ ومابعدها .

(٢١) و (٢٢) هذا بيان للناس ص ٦ .

(٢٣) الجميعي : المرجع السابق ص ٢٢ .